

سلسلة لقاءات:

الإيمان باليوم الآخر

اللقاء التاسع

أ. أناهيد السميري

أقيت في شعبان ١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdros.blogspot.com](http://tafaregdros.blogspot.com)

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاءنا التاسع من ضمن لقاءات الإيمان باليوم الآخر، وقد مرّ معنا مجموعة مفاهيم نكملها اليوم إن شاء الله في الكلام حول صفة إيتاء العباد صُحف أعمالهم.

وقد مرّ معنا سابقاً الكلام حول الحساب، وكيف أن هناك حساباً يسيراً، وهناك والعياذ بالله حساباً عسيراً، وقد تناقشنا في إقامة الشهود على الإنسان، واتفقنا أن الله أعظم شهيد، وأن الملائكة شهداء، وأن الرُّسل شهداء، وأنا شهداء على الأمم، وأن الأرض تشهد علينا، وأن جوارحنا تشهد علينا.

ونأتي اليوم إلى صفة إيتاء العباد صُحف أعمالهم، كما هو معلوم أن الله وكَّل بني آدم في حياتهم الدنيا، وكَّل عليهم ملائكة

يكتبون عليهم أعمالهم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝۱۰ كِرَامًا كَنِينِينَ ۝۱۱ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾^١، فعمل ابن آدم محفوظ

ومكتوب ومجموع في كتاب يُعطاه يوم القيامة منشور، ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا

يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾^٢.

{ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ } بمعنى ما طار عنه من عمله، سواء كان من خيرٍ أو شر، ولماذا في عنقه؟ العنق عضو من الأعضاء

لا نظير له في الجسد، من ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه، ويقال له ﴿ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾^٣، يعني

اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، وحسبك اليوم نفسك عليك تحسب وتفند وترى ما فعلت.

ولذلك في سورة يونس ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۗ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾^٤، ما معنى تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا

أَسْلَفَتْ؟ يعني تُختبر وتقلب كل نفس ما أسلفت، تنظر كل نفس إلى عملها وثقلبه، وتختبر صحته، وهل كان لله أم لغيره! وهل هو

على سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم أم مخالف لسُنَّته؟ ما أصعب هذا الموقف! والله المستعان.

حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب أعمالك فيحصيها عليك ﴿ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾.

^١ الإنفطار: ١٠-١٢

^٢ الإسراء: ١٣

^٣ الإسراء: ١٤

^٤ يونس: ٣٠

تَلَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾^١ فَقَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ، بَسَطْتُ لَكَ صَحِيفَتَكَ وَوَكَّلْتُ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ، فَأَعْمَلْ مَا شِئْتَ، أَقْبَلْ أَوْ أَكْثِرْ، حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِبَتْ صَحِيفَتُكَ فَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا تَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^٢ قَدْ عَدَلَ - وَاللَّهِ - عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ".

إذن في هذا الموقف يأخذ الإنسان صُحف أعماله، ويُختبر صحة هذه الأعمال، فما الذي يكتب في صحف الأعمال؟ ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^٣، المَلَكَانِ اللَّذَانِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْإِنْسَانِ "الحسنات والسيئات" كُلٌّ مِنْهُمَا مَتْرَصِدٌ وَمَتَهَيِّئْ لِعَمَلِهِ الَّذِي أَعَدَّ لَهُ، مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ ابْنُ آدَمَ بِكَلِمَةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا وَهُوَ مِنْ يَرْقُبُهَا وَيَكْتُبُهَا، لَا يَتْرِكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً وَلَا شَيْءً مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

عَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرَبِّيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تُبْلَغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تُبْلَغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ))^٣ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَذَكَرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَبِينُ فِي مَرَضِهِ، فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُسٍ أَحَدِ رَوَاةِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: "يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَيِّنِ" فَلَمْ يَبِينْ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويدخل فيما يكتبه الملائكة: أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، وما نواه العبد، وما همَّ به من الحسنات والسيئات، ولذلك لا بدَّ من رعاية قلوبنا أن لا تكسب سوءًا، ولا بدَّ من رعاية جوارحنا أن لا تقترف ما لا يُرضي الله، لأن كل هذا مكتوب، وسيخرج لك وستكرهه إن كان في غير رضاه. فالله وحده المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

^١ ق: ١٧

^٢ ق: ١٨

^٣ رواه أحمد في مسنده، والترمذي وابن ماجه في سننهما، وصححه الألباني.

إن في ذلك اليوم العظيم يوضع الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^١، يُشْفِقُ المجرمون من أعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة، يقولون يا حسرتنا، ويا ويلتنا على ما فرطنا في أعمالنا، مال هذا الكتاب لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه وضبطه وحفظه.

وكان الفضيل ابن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: "يا وبلتتنا، ضجوا من الصغائر قبل الكبائر".

لأنهم يقولون ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ ونحن كم من صغائر الذنوب لا نُلقي لها بالاً، وربما هالنا اجتماع هذه الصغائر علينا، وربما هالنا كثرة سطورها في كتبنا، وربما كانت سبب هلاك.

ورد في الحديث: ((إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ هَذَا بِعُودٍ وَهَذَا بِعُودٍ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا نُهْلِكُهُ))^٢.

ولذلك في الحديث الذي رواه ابن ماجه؛ عن أمنا عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَابًا))^٣.

يعني أنت تظننها صغيرة لكن تُحاسب عنها وتُطالب بها، فهي توول إلى عظيم، مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ إذا كَثُرَتْ صَارَتْ كِبَارًا وَهِيَ مِمَّا يُكْتَبُ فِي الصَّحْفِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوبِقَاتِ" قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

لذلك لما يأتي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^٤، أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ هُمُ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

^١ الكهف: ٤٩.

^٢ رواه أحمد في مسنده، تعليق شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره.

^٣ "سنن ابن ماجه" (كتاب الزهد / باب دُكْرِ الذُّنُوبِ / ٤٢٤٣) قال الألباني : صحيح.



عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوْفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))^٦.

فلا بد أن نتصوّر الموقف على حقيقته، تطايرت الكتب، ونُصبت الموازين، ونودي باسمنا على رؤوس الخلائق ابن فلان ابن فلان هلمّ إلى العرض على الله، وقد وكلت الملائكة بأخذ فلان هذا فقربته إلى الله، لا هناك تشابه في الأسماء ولا هناك خطأ في الاستدعاء، إذا حصل هذا طار القلب! اضطربت الجوارح، ماذا يحصل لك؟ صحيفة تحبّر بكل عملك، لا تغادر بلية كتبتها ولا فعلاً أظهرته إلا وقد كُتبت عليك، وكم من عمل ظننا أنه لنا وأنه مُخلص فيأتي إحباطه في ذلك اليوم! يا للحسرة والأسف على ما فرطنا في طاعة ربنا!

ولهذا التطاير ولهذا الحساب لا بد أن تحسب حساب وتعيش تحمل همّة وتعدّد لكل سؤال جواب، وتنصرف عن ذكر الدنيا وما فيها من ملذات وأحباب.

وهذا الذكر لا يشوش عليك قضاؤك للواجبات المتحتمات في الدنيا إنما يشوش عليك اللهو، يشوش عليك الانفلات، يعني ذكر هذه الدار وذكر الحساب يجعلك في حالة لا تقبل معها تضييع الوقت ولا نسيان الذكر ولا عدم الانتفاع بساعاتك، يصبح ضياع الوقت والاجتماعات الطويلة والكلمات غير المسؤولة واللعب كله أمر مكروه، كله أمر يزعجك.

وفي ذاك اليوم يؤتى الناس كتبهم على حسب حالهم، فالمؤمن يؤتى كتابه بيمينه، وعلى ذلك يكون حسابه يسيرا، تُعرض عليه أعماله، ويقرر بها، ويغفر الله تعالى له ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^٧ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^٨، وهنا يأتي الفرح والسرور والعبور إلى جنات النعيم ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول هاؤم أقرءوا كِتَابِيهِ ﴿١٩﴾ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَقٍ بِحَسَابِيهِ﴾^٩.

أمّا الأشقياء والمهلكين نعوذ بالله من حالهم فيعطي أحدهم كتابه بشماله، ومن وراء ظهره، ووقتها يدعو بالهلاك على نفسه ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾^{١٠} ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا﴾^{١١}، ويتمنى أنه لم يؤت كتابه، ولم يدر أي شيء حسابه، ويتمنى أن الموتة التي ماتها في الدنيا كانت موتة لا حياة بعدها!.

^٦ المجادلة: ٦

^٧ صحيح مسلم (كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم / ٦٧٣٧).

^٨ الإنشاق: ٧٤، ٨.

^٩ الحاقة: ١٩، ٢٠.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلْتَنِينِي لِمَ أُوتِ كِتَابِيَّةً ﴿٤٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً ﴿٤٦﴾ يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٤٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةً﴾ الذي أهاني، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً﴾^٢ الذي ظننت أنه ينفعي.

فإذن يؤخذ الناس صحفهم فيبلون عملهم، وينظرون إليه ثم يتقدمون للحساب، وهناك من يحاسب حسابًا يسيرًا، وهناك من يحاسب حسابًا عميرًا، والناس في ذلك على حسب أحوال قلوبهم وفضائل أعمالهم.

حتى أهل الحساب اليسير أكيد أنهم والله أعلم يتفاضلون، ويختلفون بينهم في درجاتهم، فإذا علمنا أن أخذ الكتاب باليمين دليل على دخول الجنة، ودليل على رضا الله، كان مما يُمدح أن تكثر من سؤال الله أن يحاسبنا حسابًا يسيرًا؛ لأن من نوقش الحساب فقد عذب، فنحن في حاجة عظيمة إلى أن نوقى شر ذلك اليوم.

ووقاية شر ذلك اليوم :

➤ بالأعمال الصالحة

➤ والتوبة والاستغفار

➤ وبذل الجهد في إصلاح النفس وتركيتها

فالخطر من النفس، التي تحتاج في تركيتها طول العمر، فإنما وهبته منه من عمر إنما وهبته لكي تستعد للقاء.

بعد تطاير الصحف وأخذ الكتل يأتي السؤال، العبد يُسأل عن كل شيء فعله.

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^٣، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٤، فيُسأل عن كل

أعماله التي عملها، وخاصة بعض الأعمال التي نُص عليها، يسأل الله تعالى الرسل عن إبلاغ رسالته، ويسأل الأمم عما أجابوا الرسل، ويسأل الكفار والمشركين عن شركهم، ويسأل الصادقين عن صدقهم.

^١ الإنشقاق: ١٠، ١١

^٢ الحاقة: ٢٥ - ٢٩

^٣ الأنبياء: ٢٣

^٤ الحجر: ٩٢، ٩٣

هذا الموقف العظيم السؤال فيه من أسباب الخوف وفيه من أسباب الرهبة ما فيه، فمن أراد الأمان هناك فليحرص هنا على الأعمال الصالحة، وعلى تزكية النفس، وعلى طهارة القلب، وعلى حُسن التوجه، والتوكل إلى الله.

والحقيقة أن التوبة من أعظم الأعمال لصحيفةٍ بيضاء، ولحسابٍ يسير.

فاللهم تُب علينا، اغسل حوباتنا، طهر قلوبنا وأعمالنا من الشرك والرياء، وطهر قلوبنا من الشكِّ والنفاق إنك وليُّ ذلك والقادر عليه.

هذا ما تيسر ذكره، غداً إن شاء الله نُكمل الكلام حول الأمور التي يُسأل عنها العبد.